

فصلية اللسان المبين (بحوث في الأدب العربي)
(علمية محكمة)

السنة الرابعة، المسلسل الجديد، العدد العاشر، شتاء ١٣٩١، ص ٥٦-٧٥
مىّ زيادة و نظرتها حول المرأة*

سيد محمد باقر حسيني
استاذ بجامعة فردوسى مشهد
شيرين سالم
طالبة مرحلة الدكتوراه بجامعة فردوسى مشهد

الملخص

كانت مىّ زيادة كاتبة و أديبة تتمتع بعقلية نادرة و قدرة فائقة فى الكتابة و الخطابة، لُقِّبها أدباء عصرها بالناطقة. نشطت مىّ نشاطاً ملموساً فى الحقل الأدبى، فكانت تكتب فى الصحف و المجلات بالعربية و الفرنسية و الإنكليزية تترجم و تخطب و إلى جانب نشاطاتها الصحفية و الأدبية كانت تشارك فى الحركة النسائية. تدعو بنات جنسها إلى ألا يضيّعن حقّ الأنوثة أو يغفلن واجبات الأمومة. بدأت تكتب و تحاضر حول المجتمع و المرأة و الجهل و المعضلات الاجتماعية الأخرى وابتدعت فى أسلوبها الأدبى طريقاً سهلاً و سلساً واضحاً يعبر عن معاناة الإنسان العربى فى هذا العصر، و عندما نقرأ خطبها نشعر بثقافتها المتينة و تقديسها لرسالة المرأة و الرجل فى الأسرة و المجتمع و العالم و عند قراءة مقالاتها الوجدانية التى كتبتها بسويداء قلبها الكبير، يهتزّ قلب القارئ و تسمو الروح و تتجلى لنا شخصية مىّ الأدبية و إدراكها العميق للنفس الإنسانية. يتناول المقال التالى حياة هذه الأديبة و أنشطتها الأدبية و بخاصة أفكارها حول المرأة و الرجل.

الكلمات الدليلية

مىّ زيادة، مىّ أديبة، مىّ و المرأة، مىّ و الرجل.

تاريخ القبول: ١٣٩١/٠٧/١٧

* - تاريخ الوصول: ١٣٨٩/١٠/٢٥

عنوان بريد الكاتب الإلكتروني: hosseinismb@yahoo.com

١-المقدّمة

كثيراً ما نسمع و ندرس عن الشعراء و الكتاب و الأدباء و النقاد و النبغاء، و لكن قلّة هم الذين نعرفهم معرفة تقف على بعض جوانب حياتهم و أعمالهم. فالمعرفة القليلة لا تعنى الاكتفاء بهذا القدر من العلم، بل تحفز الإنسان للبحث عن المزيد و التعرف على الجديد. و هناك العديد من الشعراء و الأدباء الذين لا نعرف عنهم الكثير أو لم يرد ذكرهم لدى العديد من الناس و ذلك لأنهم لم يكونوا مشهورين أو ربّما لم يكتب عنهم لسبب، فلا نقوم بالسؤال عنهم و معرفتهم، و من هؤلاء الأديبة و الكاتبة اللبنانية ميّ زيادة. تلك التي أمضت سنوات حياتها في التعلم و الكتابة و المشاركة في المنتديات الأدبية. فقد جادت بعبائها في الأدب و الشعر و أمور كثيرة غيرها ... لدرجة أن الأدباء في عصرها مدحوها و أثنوا عليها الثناء الحسن.

في التاسع عشر من شهر تشرين الأوّل من كلّ عام تمرّ الذكرى السنويّة لرحيل واحدة من نابغات النساء في العالم العربي، ذكرى انطفاء لؤلؤة عذراء زينت تاج الأدب العربي في عصرها الذهبي الحديث بصالونها الأدبي الشهير الذي عرف باسمها، إنّها الآنسة (ماري زيادة) أو (ميّ زيادة) أو (كنّار الشرق) أو (الآنسة صهباء) أو هي كلّ تلك الألقاب و الأسماء الكثيرة التي أطلقت عليها خلال حياتها مجتمعة.

و في مجلسها يقول إسماعيل صبرى باشا:

«إن لم أمتع بميّ ناظري غداً أنكرتُ صبحك يا يومَ الثلاثاء»

(الزركلي، ١٩٩٧: ٢٥٤)

٢-الحياة الأدبية والاجتماعية في عصر ميّ

عاشت ميّ بين سنتي ١٨٨٦-١٩٤١ في فترة مليئة بالأحداث و التحوّلات الإجتماعية و السياسية و الإقتصادية و الثقافية في تاريخ الإنسانية. « ففي خلال هذه الفترة وقعت أعظم حربين في تاريخ البشرية هما الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) و الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) و في خلال هذه الفترة ظهرت الحركات القومية و الوطنية في الشرق و الغرب، و تغيّرت خرائط العديد من الدول نتيجة للأحداث المرعبة التي مرّت بها الشعوب و الأمم و تغيّرت أنظمة الحكم من ملكية إلى جمهورية، و من ديمقراطية إلى ديكتاتورية، و تغيّرت الأنظمة الإجتماعية و الإقتصادية، و ظهرت أشكال جديدة من الأنظمة و في الشرق قامت ثورات و حركات قومية للتخلّص من سيطرة الدول المستعمرة و لم تتوقّف هذه الحركات، إذ أنّ أشكال السيطرة كانت تتغيّر و تتنوّع بعد كل حرب، و شهدت البلاد العربية

في كل مكان العشرات من الثورات ضدّ العثمانيين ثمّ ضدّ البريطانيين و الفرنسيين و الصهاينة.» (حطيط، د.ت: ١٩٥)

«كان الأدب في أواخر العصور المملوكية و العثمانية، قد بلغ أقصى درجات الرّكاكة في الشعر و النثر، غير أنّ الأدباء مع بزوغ فجر النهضة، راحوا يحاولون التجديد في الشعر و النثر و مهّدوا الطريق لتقدّم الأدب و تطوّره و عملت الجامعات و المعاهد في عدّة بلاد عربية كتونس و مصر و لبنان و سواها على نشر المعرفة و إيصالها إلى قطاعات الشعب بعد أن كانت وقفا على أهل الحكم، و ساهم في فعل التنوير إرسال البعثات العلميّة العربية من مصر و بلاد الشام.» (بديع يعقوب، ١٩٨٨: ٩١)

كانت الأوضاع الاجتماعية السائدة على العالم العربي في أيام الدولة العثمانية و بداية عصر النهضة أوضاعا معروفة بانتشار الفقر و الظلم و استبداد الحكّام، لأنّ الحكّام حملوا الناس على تأدية الضرائب الجسام و لا بدّ للناس ألّا يهتمّوا إلّا بأكلهم و شربهم تدير معيشتهم و سكنهم. أمّا حالة المرأة، فهي عماد المزرعة في الريف المصري كما يقول شفيق البقاعي: «أمّا المرأة فكانت عماد الزراعة في الريف المصري و كان الرجل يكثر من الزواج لتساعده النساء في الرّي و الحرث و نقل الأغلال مع أولادها و هؤلاء الأولاد يزدادون مع ازدياد النساء و كانت المرأة يكفيها فستان واحد للمناسبات و الزيارات الهامة و...» (البقاعي، د.ت: ٧٠)

وإذا نظرنا إلى الناحية الاقتصادية، فقد شاعت في المجتمع العربي معتقدات عامة و خرافات و تقاليد غريبة، يقول الأستاذ أنيس المقدسي عن شيوع الخرافات في مصر و البلاد العربية: «فقد شغلت المعتقدات الخرافية أقلام الكتّاب و شاعت المناظر بسببها على صفحات الجرائد و لو كانت هذه الخرافات قاصرة على الرعاع الذين لا يعول عليهم و لا يركن إليهم لهان الأمر ولكنّها منتشرة بين الأمراء و الأعيان و أهل الشرف و...» (المقدسي، ١٩٧٣: ١١)

نعم و هكذا يمكن القول: كان الوضع الاجتماعي في عصر أديبتنا و الأهمّ من كلّ هذا هو الجهل و الأميّة السائدة بين عامّة الناس و تأثير الجوّ الاجتماعي المتخلف على أهل العلم و تضرّر القيم الأخلاقية ولكن مع هذا بدأ تيّار جديد يدعو إلى النهضة و الخروج من هذا الجمود الفكري نتيجة الاحتكاك بالحضارة الغربية و «قد دخلت المرأة معارك حريتها بنفسها و انتقلت معاركها من مجرد حركة أوروبية في القرن التاسع عشر إلى حركة عالمية شملت مناطق عديدة من العالم.» (كامل بيومي السبكي، د.ت: ١)

٣- من هي مَيّ (نشأتها، دراستها، شخصيّتها)

«ولدت مَيّ زيادة في بلدة الناصرة بفلسطين في الحادي عشر من شهر شباط عام ١٨٨٦ م، من أب لبناني، هو إلياس زخورة زيادة الذي هاجر من قرية شحتول في جبل كسروان إلى فلسطين و احترف التعليم في مدرسة الأرض المقدّسة في الناصرة و من أمّ فلسطينية

المولد و الموطن، سورية الأصل هي نزهة خليل معمر. تنحدر أسرة أبيها من بلدة إهدن في شمال لبنان، حيث عرفت فيها منذ القرن السابع عشر غير أن أجداد ميّ استوطنوا قرية شحتول في كسروان و تنحدر أسرة أمّها من قرية الحصن الواقعة على هضبة في شرقي الأردن اليوم، و هي امتداد لجبل حوران و مازال يقيم في بلدة الحصن و مدينة السويداء قسم من آل معمر غير أن أجداد نزهة معمر، أمّ ميّ، نزحوا عن سورية إلى فلسطين في مستهلّ القرن التاسع عشر. كان أبوها مارونياً و أمّها أرثوذكسية فسمّياها يوم ولادتها "ماري" ثمّ رزقا مولوداً ذكراً بعدها مات طفلاً إبن سنة واحدة، فبقيت وحيدة أبوياً. «الحفار الكزبري، ١٩٨٧: ١١»

تلقت ميّ زيادة تعليمها الأوّل في مدرسة الراهبات اليوسفيات في الناصرة و في هذه المدرسة تعلّمت اللغتين العربية و الفرنسية ثمّ انتقلت مع أسرتها و هي في الثالثة عشرة إلى لبنان، حيث دخلت مدرسة الراهبات الأجنبيّات في دير عينطورة و هناك تمكّنت من إتقان اللغة العربية و رجعت بعد ذلك إلى الناصرة، تميّزت الفتاة الشابة بكتابة الشعر بالفرنسية، والشغف بالعلم و اللغات و أجادت العزف على البيانو و كان أبوها يوجّهها في مطالعتها و يشجّعها هو و أمّها على تنمية موهبتها. «و في عام ١٩٠٧ ضاقت الناصرة بالأسرة الصغيرة فشددت الرحال إلى مصر حيث احترف إلياس زيادة الصحافة و أتيح لوحيدته النابهة أن تروى ظلماً للعلم في رحاب القاهرة التي كانت عاصمة الفكر في الشرق. بعد انقضاء فترة وجيزة على إقامتها في مصر مع والديها، جاءت ميّ مع أبيها إلى مدينة القاهرة و أقامت فيها مدّة عامين، فدرّست اللغة الفرنسية لبنات بعض العائلات الكبيرة و عمل أبوها محرراً في جريدة «المحروسه» ثمّ أصبح صاحبها و رئيس تحريرها و في مطلع عام ١٩٠٩ بدأت موارد تلك الأسرة بالتحسّن و تعرّفت إلى طبقة من الكتاب و الصحفيين و ذوى النفوذ و خالطتهم بحكم عمل الأب و بتبلور موهبة الفتاة الأدبية و ازدياد شغفها بالعلم. درست ميّ آنذاك اللغتين الإنكليزية و الألمانية.» (الحفار الكزبري، ١٩٨٧: ١٢)

إذا أردنا أن نصفها بكثير من الصفات، فيحسن بنا أن نصفها من جهة المعنويات «بأنّها كانت متديّنة و مؤمنة و متحلّية بالإيمان الراسخ، إذ تنسّمت من شذى المسيحية منذ نشأتها. كانت حساسة أمام مظاهر الفن و الجمال حتى تبكى لمرور سحابة زاهية في الأفق الأزرق و كانت عزيزة الجانب، شديدة الثقة بنفسها إلى درجة بالغة من الكبرياء لكي تقول لغيرها «أتركي» لا أريد أن يشفق عليّ أحد لأنّي لا أطلب الشفقة.» (م.ن: ١١٣)

يقول سلامة موسى حول شخصية ميّ: « ففى ميّ شيء كبير من عمق الإحساس، فهى تفهم بنبوغها عقلية الرجال كما تفهم بطبعها عقلية النساء و من هنا ندرك اهتمامها بجملة موضوعات أدبية و اجتماعية، أمّا عن ترقية نفسها. فلست أعرف أدبياً بمقدار عنايتها و لميّ

في الأدب العربي ثلاث شخصيات كلّ واحدة منها جديرة بالدّرس، فهي شاعرة قد ألّفت الشعر باللغة الفرنسية ثمّ هي خطيبة، ثمّ هي أيضاً كاتبة اجتماعية و ربّما كان الميل للخيال و التعلّق بالفن و المثل العليا أقوى فيها من الميل إلى درس الاجتماع و هي في آرائها الاجتماعيّة معتدلة لا تقول بالطرفة.» (الشيخ، ١٩٩٤: ٧٥)

حينما سئلت هدى هانم شعراوى عن النواحي الجميلة التي كانت تعجبها من المميّزات في الخلق و الخلق التي امتازت بها، أجابت: «لقد رأيت في ميّ إنسانا غير عاديّ، لقد حباها الله بعقل كبير و لكن قلبها كان أكبر من عقلها، فقد كان ذلك القلب يتسع لمعان شتّى من الرحمة و العطف و الحنان و كانت ميّ عالية النفس فما عرفتها تدنّت إلى دنية أو تنزلت إلى سفلى و كانت واسعة آفاق التفكير فما عرفتها عند حدّ محدود و كانت بعيدة الإدراك فما رأيت منها قصوراً فيه و كانت تلك الصفات المحبوبة كانت بعيدة من الغرور، منزهة عن الانخداع، ولم تكن ميّ على وسامتها و وضاحة وجهها جميلة بالمعنى الصحيح للجمال، ولكن نفسها كانت أجمل من وجهها و روحها أجمل من صورتها.» (حمادة، ١٩٨٣: ٧٤)

يقول عباس محمود العقّاد عن ميّ: «هي مشفقة قويّة الحجّة، تناقش و تهتمّ بتحرير المرأة و إعطائها حقوقها السياسية و كانت جليسة علم و فنّ و أدب، و زميلة في حياة الفكر، أى إنّه إهتمامها كان موزّعا بين الأدب و الأنوثة.» (الطنّاجي، ١٩٦٤: ١٩٥)

٤- ميّ أديبة

كانت ميّ زيادة أديبة رائدة و مجدّدة في دعوتها الإصلاحية و بيانها و باعثة على الإنتاج الأدبي حتى بعد موتها، إذ تتوالى الأبحاث عنها في مختلف أنحاء البلاد العربية و احترفت الصحافة و الأدب و المحاضرة و التّأليف و الدراسات الاجتماعيّة و النقدية و أيضا لها مراسلات أديبة مع معاصريها من العرب و المستشرقين و لا سيّما جبران خليل جبران.

قال أحمد حسن الزيات حول أديبها بعد وفاتها: «أمّا بعد فقد قال بشار لبعض جلسائه في يوم ما سمعت شعر امرأة إلّا أحسست فيه الضعف فقبل له: أو كذلك الخنساء؟ فقال في لهجة الفطن المحترس: أوّه تلك فوق الرجال و نحن نقول في ميّ ما قال بشار في الخنساء و تريد عليه أنّها الأديبة الكاملة في تاريخ الأدب كلّ.» (الحفّار الكزبري، ١٩٨٧: ٢٣٣)

كلامه هذا، يثبت أنّها كانت ذات ثقافة أديبية نيرة و شعور رقيق و ذكاء مرهف في كتابتها الأديبية و كانت أديبة فذة في عصرها. لم تقلّد ميّ في أسلوبها الأدبي أحدا تقليدا محضا، مع أنّها تأثّرت بالكتّاب الغربيين و المهجريين.

كان معظم نشاطها الأدبي في ناحيتين: الناحية الوجدانية و ناحية الدفاع عن حقوق المرأة. و قد أظهرت الأدب الوجداني في يومياتها أو مذكراتها المملوءة من الحزن و الكآبة و تدفّق

العاطفة الناجمة عن وحدتها وعزلتها والمصائب والمأساة التي واجهتها طول حياتها خاصة في السنوات الخمس الأخيرة من حياتها وهذا الأدب يبيّن نزعتها الرومنسية التي انعكست في كتابتها. أمّا الدفاع عن حقوق المرأة، فقد كان معظم نتاجها الأدبي حول المرأة و تحريرها من الاستعباد والجهل ورفع مستواها الاجتماعي وجعلها قرينة الرجل ومتساوية معه في الحقوق الإجتماعية.

كانت النهضة النسائية في ذلك الزمن في بداية الطريق وكانت مميّزة من وجهيها الفعّالين. هكذا يبيّن منصور فهمي نجاحها في رسالتها الأدبية: «إنّ النجاح كتب لميّ في أداء رسالتها الأدبية، ذلك لأنّ ميّا عاشت في عصر تقدّمت فيه النهضة النسائية من حيث فكّ القيود وكسر الأغلال التي تقيّدت بها المرأة في هذا الماضي القريب ومع أنّها هي نفسها انطلقت من هذه القيود استجابة لداعي التطوّر ووفقا لحاجات العصر، التي كانت لا بدّ انتحالها من هذه القيود فإنّها بالرغم من ذلك، دعت بنات جنسها آلا يتمادين وراء هذه الحدود وآلا يسرعن في الاندفاع والتهور، فأرادتهنّ آلا يبالغن في الكفاح السياسي، كما أرادتتهنّ آلا يضيّعن حقّ الأنوثة أو يغفلن واجبات الأمومة، فكانت رسالتها في الحقّ دعوة مخصصة لأخواتها في الجنس و زميلاتهنّ في الأنوثة و كان سبيلها في الدعوة، الكتابة. هي كفتاة كاتبة قد خصّصت شبابة قلمها لنشر دعوة آمنت بها و حرصت عليها و دافعت عنها بإخلاص و صدق. فهي من هذه الناحية قد نجحت و أدّت رسالتها كامرأة في حسن بلاء و صدق نضال، فضلا عن أنّ ميّا الشرقية بلحمها و دمها، التي أدنى إلى أن تصل كتابتها إلى الشرقيات، قد ساعدتها في قبول ما كانت تؤمن به و تدعو إليه تلك النزعات الشرقية الكامنة و الوراثة القديمة التي لا أشكّ في أنّها أصون لمكانة المرأة من النفوس و أحفظ لمنزلتها من حيث السموّ و الكمال.» (فهمي، ١٩٥٥: ٥٥)

٥-المنتدى الأدبي أو صالون ميّ

«نشأ صالون ميّ خلال فترة تحوّل اجتماعي جذريّ شامل في كلّ مناحي الحياة. ذلك أنّ التصورات القديمة للانتماء السياسي انهارت و تمّ تعويضها بمفاهيم وطنية جديدة، فالدعوة إلى الاستقلال السياسي سواء عن النظام العثماني أو الاحتلال البريطاني، ارتبطت لدى مجموعة من المصلحين و المثقفين الذين تخرّجوا من المؤسسات التعليمية العلمانية الجديدة، أو من الجامعات الأوروبية، بالرغبة الملحة في الفردية و المساواة و كانت المطالبة بتحرير المرأة من ضمن مطالبهم الرئيسية.» (الحفّار الكزيري، ١٩٨٧: ١٣)

كانت أوروبا في هذا الزمن متقدّمة في العلم و التكنولوجيا وهذا الأمر أثر تأثيرا عظيما في الذين هاجروا من البلاد العربية إلى أوروبا لتعلّم العلوم المختلفة و حينما جاؤوا إلى بلادهم متأثرين بالثقافة الأوروبية، ظهرت في المجتمع طبقة مثقفة و كانوا يجتمعون في ندوات

وجمعيّات لتبادل أفكارهم وكان موقفهم أن يزعموا القيم التقليدية و يهيؤوا المجال للتجديد. كان يشارك في هذه الجمعيات الرجال فقط، مع أن النساء كنّ قد بدأن بالتعلّم والتعليم ولكن كنّ محرومات من المشاركة و الحضور في هذه الجمعيات.

بعد مرور الزمن جاءت نساء كميّ زيادة فهيّان المجال للمشاركة و حضورهنّ في الجمعيات و المنتديات أو الصالونات و بدأن عملهنّ بفتح أبواب منازلهنّ للحضور من الجنسين و قدهيّن عبر هذه الجمعيات مجالا أوسع بالتعامل المتساوي بينهما. فالصالونات كانت بطابعها النسائي أدبيّة بكل معنى الكلمة. و كما نعلم، ما كانت ميّ زيادة أوّل امرأة تجرّت على إقامة صالون و مشاركة الجنسين فيه، بل توجد نساء مثل الأميرة نازلي فاضل في القاهرة أو الكسندرة أفيرينوه في الإسكندرية قد قمن بمثل هذا العمل وكنّ أغلبهن مسيحيّات من لبنان و سورية، و من اللاتي تلقين تعليمهنّ في المدارس الأوروبية، كما شاهدن هذه الجمعيات في البلاد الأوروبية. كان يختلف كبار أدباء العصر على هذا الصالون و في طليعتهم: وليّ الدين يكن، طه حسين، أنطون الجميل، داود بركات، أحمدشوقي، اسماعيل صبري، لطفى السيد، ايمي خير و سواهم.

من أهمّ القضايا التي كانت تناقش في هذا الصالون، قضية تطوير اللغة العربية و أساليب تعليمها و تسهيلها و التقريب بين الفكر الشرقي و الفكر الغربي عن طريق ترجمة الروائع من العربية، ثمّ النهوض بالمرأة الشرقية و تحريرها لكي تواكب عصرها و تكون امرأة فعالة في بناء المجتمع.

كانت ميّ تنوّلي إدارة البحث في الصالون ببراعة و كانت الأحاديث التي تدور في الندوة تتعلّق بمواضيع كثيرة و منوّعة بالأسنة مختلفة و عملت في البحث عن أسلوب عربي جديد، يقع في الوسط بين الأسلوب القديم و اللغة العامية، لأنّ ميّ جعلت الحديث في الندوة باللغة العربية الفصحى. كان الأدباء يطالعون فيه و يدرسون، وينقدون نماذج من الآداب الأجنبية شعرا أو نثرا.

«كان فقدان و إغلاق هذا المنتدى و صاحبه فجيرة أحسّ بها كلّ رواده و قد أجاد خليل

مطران وصفه و وصف فجيعته حين قال:

أقفر البيتُ أينَ ناديك يا	ميّ إليه الوفودُ يختلفونا
صفوةُ المشرقين نبلا و فضلا	في دُراك الرحيب يعتمرونا
فتساقُ البحوثُ فيه ضروبا	و يُدار الحديثُ فيه شجونا
و تصيب القلوبَ و هي غرّات	من ثمار العقول ما يشتهينا»

(الشيخ، ١٩٩٤ : ٣١)

٦- مأساتها

عاشت ميّ وحيدة في بيت أبويها و ما كان لها أخ أو أخت و لم تتزوج أيضا و لهذا واجهت مشاكل كثيرة في حياتها وحيدة وفي نهاية عمرها صارت كالزهرة التي تصفها هدى هانم شعراوى بالقول: «كالزهرة لا شمس ولا ماء و لا ضوء و لا هواء فذبلت و كان ذبولها أليما و تساقطت أوراقها ورقة إثر ورقة.» (عبدالغنى حسن، د.ت: ٢٠) و لكن المأساة التي ألمت بميّ في السنوات الأخيرة من عمرها أثرت تأثيرا كثيرا في نفسها الرقيقة «فقدت أباه في ١٩٢٩/١٠/٢٤ و جبران حبيبها الذي مات ١٩٣١/٤/١٠ ثم أمّها في ١٩٣٢/٢/٢١. مع موتهم لم يبق لها رجاء في الحياة، فحزنت حزنا شديدا و وجدت حياتها موحشة بين الكتب و الذكريات. فاعتزلت الناس في بيتها و كانت منطوية على ذاتها ثم حاولت الخروج من عزلتها فرحلت إلى أوروبا و لكن الحزن الذي استبدّ بها كان أقوى من جميع محاولاتها للتغلب عليه، فانهارت أعصابها و ساءت صحتها فكتبت إلى الدكتور جوزيف زيادة تصوّر له مرضها و ذهب الدكتور زيادة إلى القاهرة فوجدها في أسوأ حال: هزيلة الجسم، منعزلة عن الناس فصحبها إلى لبنان بعد أن أخذ منها توكيلا عاما لإدارة ممتلكاتها و استضافها عنده ثم خرجت من بيت نسيبها إلى مستشفى الأمراض العقلية و العصبية في بيروت باسم العصفورية. و قفت ميّ فيه عشرة أشهر بئس، مضربة عن الطعام، تغدّى بالحقن و الأنابيب عن طريق الفم و الأنف و أشاع الناس أنّها جنّت و كأنّها المأساة الحقيقية في حياة ميّ هي الطعن بعقلها و كرامتها، فازدادت نغمتها على إخوانها الذين أهملوها مصدّقين قصة جنونها. إنّ ما يدعو إلى الإعجاب هو صمود ميّ في وجه الكوارث و مواصلتها النشاط الأدبي. لقد ألقت محاضرة في الجامعة الأمريكية في القاهرة عام ١٩٣٩ و نشرت بعض المقالات و كانت وفاتها في ١٩٤١ في مستشفى المحادى الذي نقلت إليه من منزلها في حالة إعياء و إغماء.» (الحفار الكزبرى، ١٩٨٧: ١٤-١٥)

٧- ميّ زيادة و المرأة

عالجت ميّ قضية المرأة معالجة واسعة تمتّ للمرأة التقدّم في جميع مجالات الحياة و وقفت معظم نشاطها الأدبي على العمل لتحرير المرأة من الاستعباد و الجهل و رفع مستواها الاجتماعيّ و جعلها قرينة الرجل. كانت النهضة النسائية حينذاك في خطواتها الأولى و كانت تحتاج إلى حيوية فاعلة تسمو بها و تستمرّ، فاذا ميّ، مع قاسم أمين و باحثة البادية و هدى شعراوى من أفعال موجهها. لم يقتصر نشاطها في خدمة المرأة على مقالات تنشرها في الصحف و المجلات، بل تعدّاه إلى المساهمة في الجمعيات العامة و إلى إقامة الحفلات و المظاهرات و الخطب. كما اشتركت في الاجتماعات التي كانت تعقد في الجامعة المصرية

برئاسة هدى شعراوي، فقالت هذه عنها: «عرفتُ ميًّا في ريعان شبابها و إبّان نشاطها والقوى الجبّارة تتنازع جسدها وقلبها وروحها. كنت دائماً قلقة عليها، خائفة أن تعصف بها تلك القوى العنيفة فتذبلها قبل الأوان.» (جبر، د.ت: ٩١)

تعتقد ميّ، أنّ أوّل من رفع شأن المرأة و عطف عليها، هو يسوع الناصري صاحب الشريعة المسيحية، و نبيّ الإسلام صاحب الشريعة الإسلامية، تقول: «يسوع أوّل من سوّى بينها وبين الرجل إذ جعل لهما خطة واحدة تفضي إلى ثواب واحد و إلّا فللضالين عقاب واحد. ثمّ جاء نبيّ الإسلام فرفع شأن المرأة، إذ حرّم وأد الفتيات و سوّاهما بالرجل في جميع الحقوق المدنية و السياسية.» (زيادة، د.ت، ج ٢ : ٣١)

حينما سئلت ميّ هذا السؤال: هل ترين تطوّراً في أحوال المرأة المصرية ؟ « فأجابت ليس في ذلك شكّ، ففي عام ١٩١٢، لم تكن فتاة مصرية تجرؤ على أن تضع اسمها على مقال تكتبه في الصحف، أمّا الآن فهي تفتخر بذلك ... و الارتقاء واضح في اجتماعات النساء فقد ارتقى الحديث بينهنّ و صرن يتكلمن في السياسة و الشؤون الوطنية العامة، أما قبل ذلك فكان الحديث قبيح و قال و هذه تزوّجت و تلك تطلّقت و ... » (فهيمى، ١٩٥٥: ١٥٤)

«وهكذا....أتسع أفق ميّ و خرجت من قوقعة نفسها و أحلامها و عواطفها الخاصة، لتعانق الروح الإنسانيّ في شخص المرأة و تعالج نقص المدنية و ضعفها من خلال قضية المرأة و راحت على الأثر تتصلّ بالعالمين و العاملات في هذا الميدان خارج مصر و البلدان العربية. هذه الصلات قادتها إلى درس اللغات الكبرى و التعمّق فيها، حتى أتقنت تسع لغات : العربية و الفرنسية و الألمانية و الإسبانية و اللاتينية و اليونانية و السريانية و...» (م.ن: ١٥٦)

وأمّا خدمتها الفعلية لقضية المرأة، أو للنهضة النسوية، فقد تمثّلت في أربعة أمور:

١- أنّها درست اللغات المختلفة التي تتخاطب بها الأمم المختلفة، فإذا طلبت إلى الناس أن يعلموا المرأة، أعطتهم بنفسها الدليل على كفاءة المرأة للتعلم.

٢- المقالات والخطابات التي أذاعتها في الصحف وألقتها على المنابر.

٣- الأسفار التي قامت بها لحضور الأندية النسائيّة في مختلف الأقطار.

٤- المنتدى الأدبي الذي أنشأته في منزلها و كان ملتقى رجال الفكر و الأدب في القاهرة. و كما تحدّثنا سابقاً فهمنا، أنّ ميّا كانت من العناصر الأساسيّة في صرح النهضة النسائية و كانت محرّكة هذه النهضة كما تحاضر « إنّ في الشرق روحاً تطلب نهضتها و إنّ عيونكم ترقبها و قلوبكم ترعاها منتظرة ما ينمّ عن رغبتها في النهوض أو عن مجرد ميلها إليه، لتمدّوها بالقوة والنشاط الممكن. أردتم أن يكون هذا الكوخ حجراً معنوياً في صرح النهضة النسائيّة و رمزتم بهذا العلم إلى تحرير العقول من الخرافات و الأوهام وما كانت أصوات الهتاف إلّا أصوات نفوس تحثّ المرأة و الفتاة المصرية على السير إلى الأمام « إلى الأمام »

و هذا ما أردتم أن تقولوا. «(زيادة، د.ت، ج: ١: ١٠) يدل هذا الكلام، على حرية النساء الفكرية أى أن للنساء عقلا و فكرا كما للرجال و تستطيع المرأة أن تبدع و تخلق كما يستطيع الرجل ذلك و لكن للوصول إلى هذا الهدف، يجب ألا تكون النساء فى تفكيرهن و أعمالهن مقيدات بقيود و تقاليد، بل إن الحرية الفكرية تسمح لهن بالحرية العلمية و فى النهاية تؤدى إلى الإبداع و الخلق و النبوغ فى المجالات المختلفة.

و تريد مى من الفتاة أن تهدم حدود شخصيتها الفردية، لترى المجموع ممثلا فى ذاتها، كما تقول: «فتنتفع لنتفعه و تسير لتسيره و ترتقى لترقيه.» (زيادة، د.ت، ج: ١: ١٠)

تتحدث مى عن تقدم الأمم و إصلاح الشعب، لجعله فى مستوى أرقى الشعوب حضارة لكنها ترى أن منبع ذلك التقدم هو المرأة ولكن كل إصلاح و ارتقاء لا يقوم على أساس تزعزع أركانه و ما أساس كل إصلاح إلا المرأة. حينما وضع المفكرون خططا و برامج صحيحة ليجعلوا من النشء المصرى شعبا أرقى علما و أخلاقا، فإن برامجهم و خططهم لن تتحقق ما لم يبدأ بترقية الفتاة و تعليمها تعليما صحيحا، لأنها مديرة المدرسة الأولى و صاحبة البيئة التى سيتكون فيها ذلك النشء و التى لها أعظم الأثر فى تقويم أخلاقه و مستقبل حياته.

و تعرف مى المرأة بأنها عزيزة النفس، شديدة الحرص على الاستقلال، و ذلك فى إجابة الذين قالوا إنها لا تصلح للخدمة: «كم قالوا: إنها مترددة، حائرة، ذليلة لا تقوى على توليد فكرها و لا تحتمل المسؤولية و هاهى عزيزة النفس، منحنية بحرقة على معانى الحياة العميقة و كم قال فولتر: إن فكرها سريع العطب و إنه يتحطم تحطيمًا إذا حاول استنفهام ناموس علمي، غريب أن يقول هذا القول و هو الذى استعان بامرأة على فهم كتابات نيوتن و هى صديقتها مدام دى شاتلية و معربة كتاب نيوتن فى ناموس الجاذبية، ثم اذكروا مدموازل لابلاس و مارى كوالسكى، و مدام كورى، و عشرات من النساء المشتغلات فى العلوم الطبيعية و المئات المشتغلات بالفنون و الصنائع و الحرف المختلفة.» (زيادة، د.ت، ج: ١: ٣٤)

نعم، هذه هى المرأة الجديدة و مستودع آمال المستقبل. تعتقد مى، أن من الأسباب التى تنال المرأة بها احترام الرجل، اعتمادها على نفسها و عدم احتياجها إليه فى شىء، فتشجعها أن تعتمد على نفسها و مقدرتها فى جميع شؤونها و تتعلم مهنة تميل إليها لكى تساعد و تمكنها من الاعتماد على نفسها فى مستقبل حياتها فيما إن فقدت من يعولها.

«وعدت مى المرأة عنصر أساسيا فى المجتمع يتوقف رقيه على ترقيتها: الرجل يجب أن يبدأ بتعليم المرأة لأنها الأكثر جهلا، يجب إصلاحها السريع ليتيسر إصلاح الرجل، يجب أن يباشر بتحرير المرأة لئلا يكون المتغذون بلبنها عبيدا و هل تربي العبد إلا عبيدا؟ يجب أن

يحسر غشاء الخزعبلات و الأوهام عن عينيها ليدرك الناظر فيهما من زوج و أخ و ولد، أن معنى الحياة عظيم.» (جبر، د.ت: ٩٠)

تعتبر ميّ منشط المرأة و مؤيِّدها و محرِّرها من قيود الجهل و الغباوة و الخمول « لم يمرّ وقت طويل على يوم كان الرجل الشرقي منكرًا على المرأة، يوم كانت المرأة عبدة تخفي جهلها و ذلها تحت الأتواب الحريرية و تنسى قيودها الدهرية لاهية بالأساور و الجواهر. ثم حرّرها الرجل قليلا قليلا و صار يدعوها إلى الاجتماعات العالمية و السهرات الراقصة، حاسبها زينة من الزينات المكملات لتلك الحفلات اللامعات و لكن اليوم انظروا كيف علت مكانة المرأة لديكم. صرتم تدعونها إلى حفلاتكم الأدبية و تعطونها فيها مكانة رحيبة، هذا للمرأة السافرة. أمّا أختنا المحجوبة فهي كذلك مستشعرة بنسمة الحياة الجديدة، من خلال نقابها الشعري اللطيف تفتح عينيها كبيرتين على آفاق النور و في نفسها تتولّد ميول مندفعة نحو وجهة الارتقاء و رغبات تائقات إلى مظاهر الكمال.» (زيادة، د.ت، ج: ١، ٤٤) و هنا تشير إلى مشاركة الرجل المرأة في أعمالها و يفسح لها مجال العمل في الإصلاحات. و هكذا تصاعد صوت المرأة ينادى بالحريّة و هذا الصوت ليس صوت الجنس النسائي بل هو صوت الفرد الإنساني و صوت عضو في المجتمع الراقى.

لم تكن نظرة ميّ زيادة إلى المرأة «أنثوية» أى، لم يكن قصدها من المرأة جنسيّتها بل هي مفهوم كلى و أوسع منها و يتخطى الحصرية و الخصوصية ليندمج مع مفهوم الرجل و المجتمع. لا تريد ميّ زيادة استقلالية و حريّة المرأة بمعنى الابتعاد و الانفصال عن الرجل بل تريدها بمعنى الاتّصال و فى الواقع تطلب مفهوم الرجل و المرأة معا، روح واحد فى جسمين و جنسين و هما واحد فى مفهوم الإنسانية و مفهوم الإنسانية نقطة الاتّصال بين هذين الجنسين، يعنى من الواجب كما ترى، أن تكون النظرة إلى المرأة من الزاوية الإنسانية لا من الزاوية الجنسية و تبدو هذه النظرة أوضح فى كلام مدام ايمنى خير حينما سئلت عن كيفية صداقة ميّ لبنات جنسها و عن مكانة الرجل فى منتداها و عندها « كانت ميّ لطيفة مع النساء، كما كانت مع الرجال، فهي لطيفة على اختلاف الحالات تتوطّد بينى و بينها صداقة كما تظنّ ولكنّها صلة و ثققتها عندى إعجابى غير المحدود بها. كانت ميّ محبّة لجنسها النسائيّ و أكبر برهان على ذلك، كتابتها عن عائشة التيمورية، باحثة البادية، وردة اليازجى. تحمل كتاباتها عنهنّ طابع الحبّ للجنس النسائيّ. ولعلّك تعجب إذا عرفت أن مرّات تردّدى على منتداها لم تتجاوز ثلاثا أو أربعا، ولكن أصحابها من الرجال كانوا أصحابى، فكان حديثهم عنها يؤكّد لى ما رأيته فى مرّات لقائى إيّاها. والذى أعرفه أن منتداها، كان محطّ الرحال لأهل العلم و الفضل و الحكم من الرجال، فلم يكن يتردّد عليه و يختلف إليه من النساء إلّا قليل.» (حمادة، ١٩٨٣: ١١٥)

تخاطب ميّ الرجال حينما يعودون إلى منازلهم أن ينظروا إلى المرأة العائشة في محيط منزلهم و تحت نفوذهم نظرا إلى الأمّ، إلى الزوجة، إلى الأخت و تشجّعهم على تحرير المرأة حينما تقول: «ظّلوا عاملين على تحرير المرأة، التحرير المنشود حتى تسمعوا من نفوسكم تلك الشهادة البديعة: أيّها الرجل أحسنت، أحسنت لأنك كفرت، أحسنت لأنك أنصفت.» (زيادة، د.ت، ج: ١: ١١٩)

٨- المرأة مفهوم نوعيّ

المرأة مفهوم نوعيّ: ليست المرأة بالنسبة لمرأة فردية بمعنى أن لها حقوقا ضائعة و يجب أن تعود إليها ولا فائدة في هذه الحقوق إذا بقيت المرأة مقيدة بفكرة أنّها خلقت خاصة للرجل و خلقت لتكون مقيدة بقيود يعينها الرجل. ولكن بحسب رأيها، المرأة ذات مفهوم أوسع و أكمل، لأنّها ذات حقوق اجتماعية موازية و مساوية للرجل و تحسب من العناصر الأساسية لتطور الحياة و في الواقع لا يمكن التطور و التقدم دون المرأة وإن تصوّرنا المجتمع كطائر يريد الوصول إلى قمة الجبال لا حيلة له إلا أن يكون له جناحان، و تكون المرأة أحد الجناحين، والرجل الجناح الآخر. و تكتب ميّ في رسالته و جهتها إلى باحثة البادية قائلة « هو الأب والأخ والصديق و الخطيب و الزوج، فإذا سقط سقطنا معه وإذا ارتفع كُنّا بارتفاعه عظيما، لذلك نريد له خيرا و نجتهد في تأييد دولته بشرط أن ينصب عرشنا بقرب عرشه و أن نقف إلى جنبه و فقه المثل بجوار المثل. نريد أن نكون متساويين في الحقوق الأدبية و العمرانية، مادنا متساويين في الواجبات و المسؤولية.» (جبر، د.ت: ٩٣) هي لا تريد حقوق المرأة من الخارج، في الواقع لا تأتي حقوقها من الخارج بل تتبع حقوقها من وجودها، حق الحرية، حق التفكير و التصميم و حق التعليم، لأنّ الله تعالى جعل النبوغ و القوى في وجود المرأة و يجب عليها أن تبرز و تستخدم القوى الداخلية و أن تتعلّم و تفكر و تتحدّث دون أيّ قيد من القيود. تحدّثنا عن حقوق المرأة و قلنا إن هذه الحقوق ليست من الخارج بل تتبع من نفسها أو بعبارة أخرى خلقت بهذه الحقوق وهذا يعبر عن قانون التوحّد و المشاركة الذي يشكّل العنصر الأساس لتطور الجنس الانسانيّ و ارتقائه. هنا نصل إلى أنّ الجنسية ليست مقياس تعيين الحرية، بل حرية الإنسان بإنسانيته. تقول ميّ زيادة في هذا الموضوع « على فتاة هذا الجيل أن تهدم حدود شخصيتها الفردية و الضئيلة، لترى المجموع ممثلا في ذاتها فتنتفع به لتنفعه و تسير لتسيره و ترتقى لترقيه.» (زيادة، د.ت، ج: ١: ١٠)

رغم أن ميّ نادى المرأة لتقوم بواجبها في المجتمع ولكنها في الوقت نفسه دعته أن لا تتخلّى عن أنوثتها بل على العكس أن تقوى هذه الأنوثة. و لقد ردّدت دائما: على المرأة أن تكون جميلة، ليّنة، متعلّمة، قوية النفس و العزيمة. تؤكّد ميّ أنّ على المرأة أن تصون ذاتيتها

الفردية و أن تاتي بالأولاد و تتعهدهم جسما و عقلا و روحا. تريد ميّ من المرأة «أن تكون عارفة بأساليب الاقتصاد و التدبير عليها أن تحافظ على وفاق الأسرة و سلامتها و أن تنشئ علاقات تآلف بين أسرتها و أسر الأصحاب و المعارف و غيرهم ممّن تدنيها منهم المصلحة أو أيّ شأن من الشؤون.» (الحفار الكزبري، ١٩٨٢: ٦٥٠) تشير ميّ إلى أن إعطاء المرأة الحرية و الثقافة يسبّب أن تزدهر مواهبها و تتجلى شخصيتها في الزمن القصير و تتعرّف على وجودها. تريد ميّ من الرجال أن يتقوا بالمرأة لأنّ آمالهم لن تخيب فيها و إنّها لا تخون رجالها في القومية و الإنسانية.

لقد ردّدت ميّ دائما:

« إن أكبر فخر للرجل و أعظم عنوان لمجد إنّما هو كمال رجولته، الرجل الناقص الرجولة لا يغنى عنه علمه و لا ماله، بل يظلّ ناقصا أبدا، فأما من كملت رجولته فقد يرى على أن يستكمل بفضلها ما ينقصه من الناحية التي ينبغي الكمال فيها. ذلك حقّ نقره جميعا ممّا لنا لا نقرّ الحقّ الذي يقابله فتقول: إن أكبر فخر للمرأة و أعظم عنوان لمجدها، إنّما هو كمال أنوثتها، إنّها بكمال أنوثتها تستطيع أن تكمل ما ينقصها في الناحية التي ينبغي الكمال فيها، و كما أنّ الرجولة، قوّة و نضال و حرص على الظفر فالأنوثة عطف و حنان و محبّة.» (زيادة، د.ت، ج ١: ١٠)

لكلّ المرأة خصائص بحسب نوعها و جنسها و يجب على المرأة أن تحافظ على طبيعتها كأنثى، فكثير من النساء يعتبرن الحياة ثيابا و سهرات و زيارات و حفلات ولكن ميّ تعتبر أنّ كل هذه الأمور، ليس لها معنى إلّا في نطاق إبراز الخصوصية الحصرية للأثى و تقول: « إنّنا نحبّ الزينة و اللهو و الجواهر و السهرات الراقصات و لكننا نحبّها الحبّ الذي تستحقّه فقط و في نفوسنا ميول أشرف منها و أعظم.» (زيادة، د.ت، ج ١: ٧) و نستنتج من هذا الكلام، أنّ ميّ زيادة لا تحرم المرأة من اللهو و الزينة و... بل تشير في كلامها إلى أنّ هذه الأمور لها قيمة خاصة ولكن في إطار معيّن و محدد و يوجد في جانب هذه الأمور، أمور لها قيمة أكثر من الأخرى.

٩-أسس النوع

إنّ المرأة بمحافظتها على خصائصها النوعية، يجب أن تؤمن الأساس المهمّ للدور الذي يتناسب مع هذه الخصوصية و لذلك يجب أن تقوم شخصية المرأة على أساسين: العلم و الفضيلة و مع تأكيدها على أهمية العلم تعتقد ميّ زيادة، أنّه غير كافٍ للمحافظة على حياتها، فالعلم يحرر المرأة و يعلمها المعرفة، لكنّه ليس بكافٍ. إذن، لا بدّ من الفضيلة لتصونها كما تقول: «حسن أن تكون المرأة عالمة و أحسن منه أن تكون فاضلة، جميل أن تكون المرأة مفكّرة و أجمل منه أن تكون شفيقة رحيمة، فحيوا المرأة التي لا تكتفى الجسديّة، بل تريد

أن تكون فوق ذلك أمّا للشريد الحزين الذي لا أمّ له. «(زيادة، د.ت، ج ١: ٤٥) تشير ميّ من خلال كلامها، أنّ العلم نصف الارتقاء والأخلاق النصف الآخر، وأنّ شرف المرء قائم بحسن أخلاقه، أكثر منه بتعدّد علومه.

كما قلنا سابقاً تؤكّد على تعليم المرأة و كسب المعرفة و تعتقد أنّ المرأة شقيّة بائسة و سبب شقائها و بؤسها هو الجهل و ضعف الإدراك. إنّها تدعو إلى محاربة الجهل الذي تعيشه المرأة عن طريق تعليمها و تعتبر التعليم حقاً لها، واجبا على أهلها. ترى ميّ سبب الشقاء و الفقر و كثير من المشاكل الاجتماعية جهل المرأة، حينما تقول: «لقد طافت المدينة أنحاء العالم ولكن ما حالنا بها؟ لقد ظهرت معجزاتها في اكتشافات البشر و علومهم و فنونهم وأساليبهم و كفيّة معيشتهم، إلّا أنّ الشقاء مازال شقاء، مازلنا نشاهد حولنا الحرب و الفقر و المرض و القتل و الانحطاط النفسى و العاهات الأخلاقية على تعدّد أنواعها، و ما برحت الشعوب تشكو حكوماتها، و الأوطان تشقى بأبنائها، و العائلات تتعذّب بأفرادها و الأفراد تتوجّع ميولها و تشقى بغرائزها المتناسخة عن وراثت بعيدة و قريبة. كلّاً! إنّ المدينة لم تاتِ بتمام واجبها بعد، و لم تصلح من الأحوال إلّا البعض اليسير أو المتوسط. و أنتم أيّها السادة و السيدات، تعلمون سبب ذلك النقص و تعرفون موضع الضعف من مدينة القرون المنصرمة، ذلك الضعف الشائن و النقص الهائل ليس إلّا تقهقر نصف الإنسانية هو جهل المرأة.» (زيادة، د.ت، ج ١: ٢٩)

و تجيب بصراحة الذين قالوا: إنّ العلم يذهب بملكاتها « و ها نحن نراها إذا تعلّمت زادت جمالاً و حناناً و احتراماً للعائلة و إجلالاً للرجل، إنّها الآن تفهم معانى الحياة و تريد بكلّ قواها ترقية نفسها و إعلاء مداركها و تربية شخصيتها و استخدام ملكاتها فى بثّ الخير و السعادة حولها و على كل ما يحيط بها.» (زيادة، د.ت، ج ٢: ٣٥) تعتبر ميّ المرأة الراقية هى التى تحاول أن تصبح أمّ الروح، أمّ العواطف، و أمّ الأفكار، و المهذبّة الكبرى و الصديقة العظمى، فى الواقع أن تكون المرأة أمّا بكلّ معنى الكلمة و بجميع المعانى التى تحملها هذه الكلمة.

١٠- مفهوم الرجل عند ميّ

فى بداية الأمر نذكر رؤية ميّ عن رجل الماضى «هو إذا الرجل فى ضلاله و غوايته فى ملاهيه و ملذّاته فى خصوماته و جهله، هاهو ذا على موائد الميسر و الشراب و المخدّرات و هاهو ذا فى تلك السبيل المظلمة المتلوية التى يعرفها هو، نجعل نحن كيفية وجودها، هو ذا الرجل الدليل الأحمق السخيف الجاحد الخائن الذى هو حشرة مضخمة تبهظ البشر و تمتصّ دماء ها، أمّا الآن هو ذا من ناحية أخرى، الرجل ذو الشمم و الإباء و العزة و الإخلاص،

ربّ الحكمة و ربّ القوة و ربّ الإبداع و بطل الجهاد الذي يثير الإعجاب و الرجاء و يشرف
بني الإنسان.» (زيادة، د.ت، ج ٢: ١٤٣)

تعتقد ميّ أنّ لا خير في رجال ليس لهم من الرجولة غير ما يدعون، إن هم سادوا فعلموا
بالقوة الوحشية و هي مظهر من مظاهر العبودية، فأولئك يسيرون إلى الفناء المعنوي و إلى
الموت.

تنطلق ميّ في تعريف فكرة الرجولة على أساس أخلاقي، فالرجولة كالأثوثة فكرة إنسانية
تقوم على الفضيلة « على أنّي لا بدّ أن أذكر أنّ فكرة الرجولة في نفسي، كفكرة الأثوثة بل
كفكرة إنسانية، قائمة على محور أخلاقي لا أستطيع تعريفه، ولكنه ككلّ سحر و كلّ عظمة و
كلّ فن، نهتدى إليه بالبداهة إن خانتنا الشروح و نعلم أنّه المصدر الذي تستوحيه الإنسانية
المخلصة في سنّ أنظمتها و قوانينها و أنّ ذلك المحور، ذلك الأساس الأخلاقي. هو
كالحقيقة في تطوّر متتابع، ليس في الجوهر و لكن في الأعراض، فيظلّ متعددا متنوعا متلوّنا
في كلّ عصر و كلّ جيل و في كلّ أمة.» (م.ن: ١٤٨) نلاحظ أنّها تنظر إلى الرجل بحسب
النوع لا على الرجولة أو بأنه إنسان، والرجل هو الذي يتقبّل فكرة المشاركة مع المرأة في
المجتمع و يعتبرها ضرورة إنسانية و لا يمكنه أن يكون إلّا توافرت فيه قوّة العقل المرتبطة
مع قوّة الشاعر و إرادة التنفيذ. إذن العقل و المشاعر و الإرادة هي التي تشكّل الرجل كما
تقول: «الرجل الذي تمتزج فيه مواهب العقل و مواهب الشعور و مواهب التنفيذ و ليس هو
بالمعصوم من الزلزل. فالكمال مستحيل في الطبيعة البشرية و لكنه الرجل الكامل كما لا نسبياً
في ذاته، الذي تكفر محاسنه عن مساوئه لأنك، إذا أحصيت له نقصا وجدت له فضلا يقابله.
الرجل الذي يكون فعله حلماً للمشاكل لا عقدة فيها، نورا في الظلام لا ظلاماً في النور، تعزية
في الألم، لا ألما في التعزية، نشاطا في اليأس، لا يأساً في النشاط، الرجل الشهم الكريم
الجميل جمال الرجولة المهيب. الرجل المرئ الحصيف و في نفسه ذلك الحنان الواسع الذي
ليس من خصائص الضعفاء كما يزعمون، بل هو من أنفس مواهب الأقوياء. الرجل الذي يمرّ
في زمانه و قومه فينتفع بجميع الممكنات المقدّمة له ولكنه يترك على ذلك الزمان و ذلك
القوم طابعه المبين.» (زيادة، د.ت، ج ٢: ١٤٧)

رأينا كيف تصف الخصائص الحسنة و البارزة في الرجل الذي هو الرجل الكامل مع
المواهب الثلاثة التي جعلت في نفسه موهبة العقل، موهبه الإرادة و موهبة الشعور. و حينما
تستند إلى قول العرب « فقد قالت العرب إنّ الرجال ثلاثة: رجل هو كلّ الرجل و رجل هو
نصف الرجل و رجل هو لا رجل، وأردفوا هذا التخليص البديع بهذا البيان البديع فالرجل كلّ
الرجل هو الذي يعلم و يعلم أنّه يعلم و الرجل نصف الرجل هو الذي لا يعلم و يعلم أنّه لا
يعلم و الرجل لا الرجل هو الذي لا يعلم و لا يعلم أنّه لا يعلم.» (م.ن: ١٤٦) يعجبها الرجل

الذي هو كلّ الرجل و ذكرنا سابقاً خصائصه و مواهبه رغم إعجابها الرجل الذي هو كلّ الرجل تؤكد أنّ هذه الصنوف الثلاثة و ما يتخلّلها من مختلف الشخصيات ضرورية لتشكيل النوع الإنسانيّ ليكون هناك مجال للتحمّس و التقدّم و التطوّر.

تؤكد ميّ بين خصائصه المختلفة على البعد الأخلاقيّ و الأدبيّ و تعرفهما بأنهما الثروة الإنسانية الخالدة قائلة: «الرجل الكامل هو البارع القويّ الذي يتشدّد في الاندحار و يخلق من الشجاعة و الكرامة و التدبير مظاهر جديدة بينا أصناف الرجال و أرباعهم يباهون بنجاحهم الحائل الضئيل. إنّ النجاح الماليّ و الإجتماعيّ زينة المسرح و أثاث التمثيل ولكن النجاح الأخلاقيّ و الأدبيّ ثروة إنسانية تطمح إليها بكلّ قواها وراء الظواهر الخلابيّة التي يطلبها جميع الأفراد وجميع الشعوب، و قوّة الرجل تستمدّ من قوّة تلك الفكرة الأبدية العظيمة و لها منها حصن حصين.» (زيادة، د.ت، ج ٢: ١٤٨) ترى ميّ زيادة أنّ الرجل الذي يكتشف في المجتمع الصاحب، و يتغلّب على آلام اليأس و الانفراد، ليهدى إلى العالم ثمره معرفته و عرفانه، فذلك هو الرجل الكامل والبارع.

١١- المرأة و الرجل أساس الحضارة :

ترى ميّ زيادة أنّ المرأة عنصر التكامل مع الرجل و العلاقة بينهما تشكّل الجسر الأساسيّ لبناء الحضارة و يجب على الرجل أن يتفهّم ذلك، و لا معنى للحضارة بدون المرأة و نستطيع أن نقول إنّ حضارة الرجل لا يمكنها الاستمرار و الدوام إذا تجاهلت المرأة. إنّ تاريخ الشرق و الأمم مملوء بالأمثلة التي تدلّ على موت الحضارات، لأنّ فعل المرأة فيها كان غائباً و كانت تحسب سلعة أكثر من أن تحسب امرأة بحسب نوعها، لهذا يجب على المرأة في العصر الحاضر أن تشارك الرجل في الفعل الإنسانيّ ليكونا قادرين على خلق الحضارة المتمدّنة و الراقية و لا يمكن بناء الحضارة الراقية إلّا بيد الرجل و المرأة كليهما و لا بدّ للمرأة أن تعالج جهلها في حفظ الحضارة و أشرنا إلى هذا سابقاً، كما تقول ميّ في هذا المجال « ليست مدنيّة الغد مدنيّة الرجل وحده، بل هي مدنيّة الإنسانية.» (زيادة، د.ت، ج ١: ٢٣) و تشير بذلك إلى مشاركة الرجل و المرأة معاً في بناء الحضارة الراقية.

١٢- التكامل معاً لا الصراع

ترفض ميّ زيادة فكرة الصراع مع الرجل لأنّها تعتبر ذلك مخالفاً لسنة الطبيعة التي هي قائمة على الاختلاف و التفاوت بين الأجناس. إنّها حين تعترف بمفهوم الرجولة و بمفهوم الأنوثة كما أشرنا إليه مسبقاً، تطالب الرجل بالتكامل مع المرأة و ترى أنّه لا يمكن التكامل إلّا بهما.

ولكلّ منهما الفضائل و الصفات و القوى الخاصة، فالرجل يمثّل القوّة و المرأة تمثّل الجمال و يجب على الجمال أن يهدّب القوّة لا أن يتحوّل إلى قوّة مقابلة للصراع « إنّ الساقية

٧٢/ ميّ زيادة و نظرتها حول المرأة

الصغيرة لا تفقد معناها قرب النهر الكبير، بل إن جمال تدفّقه يكسب ضعفها قوّة و تعطيها جبرته مجداً و فخراً.» (زيادة، د.ت، ج ٢: ٢٧)

والصراع مع الرجل غير مفيد و تعتقد ميّ زيادة، أنّ فكرة انتزاع الحقوق هي فكرة عقيمة لأنّه لا يمكن إجبار الرجل بقوّة، لأنّ حقوق المرأة ليست شيئاً خارجياً بل كما قلنا سابقاً تنبع من نفسها و ذاتها و يجب على المرأة أن تقنع الرجل بذلك، لأنّ قانون الحياة يفرض ذلك « أيّها الرجل لقد أذللتني فكنت ذليلاً، حرّرتني لتكون حراً، حرّرتني لتحرّر الإنسانية.» (زيادة، د.ت، ج ٢: ٤١)

و إنّها تعتقد أنّ نكون متساويين في الحقوق الأدبية و العمرانية مادامنا متساويين في الواجبات و المسؤولية. إنّها تريد حفظ الحقوق و التساوى فيها بين الطرفين أي الرجل و المرأة و لا تقصد المرأة الصراع و النزاع مع الرجل بل تريد التكامل و التفاهم معه.

١٣- سعادة الرجل

إنّ مفهوم السعادة عند ميّ زيادة قائم على الحرّيّة و لا يمكن للإنسان أن يكون سعيداً إذا كان ذليلاً و حقيراً و يجب على الرجل للوصول إلى السعادة أن يدفع المرأة في هذا الطريق يعني في طريق حرّيّة الفكر و العمل و أن يمهد لها سبيل الحرّيّة، لأنّ حرّيّة الرجل مرتبطة بحرّيّة المرأة و بالحرّيّة الثنائية يصلان إلى السعادة و يبينان المجتمع الراقى على أساس التفاهم و التشارك . مهما حاول الرجل أن يكون سعيداً بحرمانه المرأة من الحرّيّة لا يتحقّق هذا الأمر إلّا بسعادة المرأة كما تقول ميّ، إذ لا سعادة للرجل إلّا بسعادة المرأة.

إذن، لا يمكن للرجل حفظ الحياة و الحضارة إلّا بنظرة جديدة هي نظرة التكامل و التفاعل و التعامل مع المرأة. تذكر ميّ زيادة في كتابها قول هيجو إذ يقول: « ليس الرجل وحده الإنسان و لا هو المرأة وحدها، بل هما الإنسان و الإنسان هما، كلّ جنس دون الأخير نصف فقط و لا يصير عدداً كاملاً إلّا إذا أضيف إليه النصف الآخر، لا صحّة للمرء إلّا بسلامة دماغه و قلبه و لا سعادة للرجل إلّا بسعادة المرأة.» (م.ن: ٢٩)

تريد ميّ من الرجل الحكيم أن يثق بجوهر المرأة حينما تقول، ثقوا بابنة اليوم تجدوا أبناء الغد أهلاً للثقة. وفي النهاية جدير، أن نذكر قول مدام ايمى خير لنذكر اعتقاد ميّ زيادة بالرجل و المرأة معا حينما تقول: « كان لميّ أدب الرجولة القويّة و لطف الأنوثة الوديعة.» (حمادة، ١٩٨٣: ٧٢)

نتائج البحث

إنّ ميّ زيادة، الشاعرة و الأديبة والخطيبة و الناقدة والرائدة في الحركة النسائية، هذه المبدعة عانت في حياتها الكثير من الآلام، بالرغم من كلّ ما قدّمته من أعمال في سبيل إنماء الثقافة العربية و نهضة المرأة العربية.

هي صنعت من نفسها نموذجاً غير مسبوق بين نساء عصرها و حتى في الأجيال التي تلت جيلها فقد كسرت حاجز التمييز بين الرجل و المرأة المبدعة، التقت بمفكرى عصرها و رواده من الرجال و ناقشتهم في كلّ القضايا الأدبية و الفكرية و ذلك في صالونها الشهير الذي كان منارة إشعاع و ثقافة في المجتمع المصري في ذلك الوقت. كانت ميّ تؤيّد المرأة و تطالب بحقوقها، فقد انضمت إلى الحركة النسائية التي كانت ترأسها هدى شعراوي و كذلك اشتركت في الاجتماعات التي كانت تعقدها في الجامعة المصرية القديمة. كتبت ميّ عن شهيرات النساء في عصرها و طالبت بإنصاف المرأة، إلى جانب ذلك طالبت المرأة أن تتحرّر، على أن لا تخرج عن حدود المعقول و المقبول، بل يكون تحرّرها على أساس العلم و التحفّظ و ترى ميّ أن يكون موقف المرأة من الرجل و الرجل من المرأة، موقف انسجام مع الطبيعة و النفسية غير تطرّف و لا تفريط. تعتبر ميّ المرأة، الحلقة الأهمّ في تطور الأمم و المجتمعات، بدون المرأة لا يمكن أن تستمرّ الحياة الإنسانية، بدون المرأة من الصعب على الرجال الاستمرار و الشعور بأنهم رجال، لأنّ شعور الرجولة لا يتمّ إلّا بالمقارنة مع شعور الأنوثة التي تميّز المرأة.

المصادر والمراجع

- ١- بديع يعقوب، اميل.(١٩٨٨). المفصل المعجم في الأدب اللغوي؛ بيروت: دار العلم للملايين.
- ٢- البقاعي، شفيق.(د.ت). أدب عصر النهضة؛ بيروت: دار العلم للملايين، مؤسسة ثقافية للتأليف و الترجمة والنشر.
- ٣- جبر، جميل.(١٩٨١). جبران خليل جبران في حياة العاصفة؛ بيروت: مؤسسة نوفل .
- ٤- جبر، جميل.(د.ت). ميّ في حياتها المضطربة؛ بيروت: شركة دار الجديد.
- ٥- حطيط، كاظم.(د.ت). أعلام و رواد في الأدب العربي؛ بيروت: الشركة العالمية للكتاب.
- ٦- الحفار الكزبري، سلمى.(١٩٨٧ الف). ميّ زيادة أو مأساة النبوغ؛ بيروت: مؤسسة نوفل.
- ٧- الحفار الكزبري، سلمى.(١٩٨٧ ب). المؤلفات الكاملة لميّ زيادة؛ بيروت: مؤسسة نوفل.

- ٨- حمادة، حسين عمر. (١٩٨٣). أحاديث عن ميّ زيادة وأسرار غير متداولة عن حياتها؛ دمشق: دار قتيبة.
- ٩- الزركلي، خير الدين. (١٩٩٧). الأعلام، قاموس تراجم، لأشهر الرجال و النساء من العرب المستعربين و المستشرقين؛ ط ١٢، بيروت: دار العلم للملايين.
- ١٠- زيادة، ميّ. (د.ت. الف). كلمات و إشارات؛ جلد اول، بيروت: مؤسسة نوفل.
- ١١- زيادة، ميّ. (د.ت. ب). كلمات و إشارات؛ جلد دوم، بيروت: مؤسسة نوفل.
- ١٢- شيخ، غريد. (١٩٩٤). ميّ أدبية الشوق و الحنين؛ بيروت: دار الكتب العلمية.
- ١٣- الطناجي، طاهر. (١٩٦٤). دموع الحب بين الأنسة ميّ و عباس محمود العقاد؛ الهلال.
- ١٤- عبدالغنى حسن، محمد. (د.ت). ميّ أدبية الشرق و العروبة؛ القاهرة: عالم الكتب.
- ١٥- فهمي، منصور. (١٩٥٥). مذكرات ميّ زيادة؛ القاهرة: منشورات معهد الدراسات الغربية العليا، الجامعة العربية.
- ١٦- كامل بيومي السبكي، آمال. (د.ت). الحركة النسائية في مصر ما بين الثورتين ١٩١٩-١٩٥٢؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ١٧- المقدسي، أنيس. (١٩٧٣). الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، بيروت.

فصلنامه لسان مبین (پژوهش ادب عربی)
(علمی - پژوهشی)
سال چهارم دوره جدید، شماره دهم، زمستان ۱۳۹۱
«می زیاده» و دیدگاه او نسبت به زن *

محمد باقر حسینی
استاد دانشگاه فردوسی مشهد
شیرین سالم
دانشجوی دوره دکتری دانشگاه فردوسی مشهد

چکیده

«می زیاده» نویسنده و ادیبی بود که در نویسندگی و خطابه از عقلانیت و قدرتی بی نظیر بهره‌مند بود. ادبای دورانش او را نابغه نامیدند. وی فعالیت چشمگیر و گسترده‌ای در حوزه‌های ادبی داشت. در روزنامه‌ها و مجلات به زبانهای عربی، فرانسه و انگلیسی مطلب می‌نوشت و ترجمه و سخنرانی می‌کرد. در کنار فعالیتهای مطبوعاتی و ادبی‌اش در جنبش زنان نیز شرکت می‌کرد و هم‌جنسان خود را فرا می‌خواند بر اینکه حقوق زنانه‌شان را تباه نسازند و نسبت به مسؤولیتهای مادرانه خود غافل نباشند. وی در زمینه کتابت و سخنرانی درباره مسائل جامعه، زن، جهل و معضلات دیگر اجتماعی فعالیت می‌کرد. «می زیاده» در اسلوب ادبی‌اش راهی آسان و ساده‌ای را ابداع کرد که معبر رنج انسان عربی در این دوره بود. هنگام خواندن خطابه‌های وی، فرهنگ اصیل و تقدیس او نسبت به رسالت زن و مرد در خانواده، جامعه و جهان را احساس می‌شود. قلب خواننده، هنگام خواندن مقالات وجدانی وی که آنها را از سویدای قلب و سببش نوشته، به لرزه می‌افتد و موجب تعالی روح می‌شود. شخصیت ادبی وی و درک عمیقش از روح انسانی از خلال آن اشعار برای ما متجلی می‌شود. مقاله حاضر حیات ادبی و فعالیت ادبی «می زیاده» و مخصوصاً تفکرات او را در مورد زن و مرد در بر می‌گیرد.

کلمات کلیدی

می زیاده، می ادیب، می و زن، می و مرد.

تاریخ پذیرش نهائی: ۱۳۹۱/۰۷/۱۷

* تاریخ دریافت: ۱۳۸۹/۱۰/۲۵

نشانی پست الکترونیکی نویسنده: hosseinismb@yahoo.com